جامعة محمد بوضياف

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

مقياس : فكر شرقي- قديم- السنة الثانية ليسانس السداسي الأول: 2021-2022

د: بوزبرة عبد السلام

المحاضرة الثانية : الفكر البابلي : حضارة ما بين النهرين

تعد الحضارة البابلية من أهم الحضارات القديمة وأشهرها، وكانت عاصمتها بابل التي تقع على نهر الفرات في العراق؛ وقد تأخر تطوير مدينة بابل كمدينة رئيسية وفقاً للمعايير التي كانت موجودة في بلاد ما بين النهرين على الرغم من وجود آثار استيطانية منذ ما قبل التاريخ، وقد أصبحت نواة لمملكة أسسها الملك سوموابوم سنة 1894 قبل الميلاد، ثم احتلها حمورابي ورفعها إلى عاصمة تضم جزءاً من آشور، وبلاد ما بين النهرين، وقد جعلها المركز الإداري والتجاري الرئيسي لبابل، مما أدى بدوره إلى جعلها هدفاً للغزاة

بلاد بابل تعني بالآكدية بوابة الإله كان الفرس يطلقون عليها بابروش أي دولة بلاد ما بين النهرين القديمة. سبقتها دولة سومر التي كانت تقع بين نهري دجلة والفرات جنوب بغداد بالعراق الحالي. وظهرت هذه الحضارة بين القرنين 18ق م، و 6 ق م. نتيجة امتزاج الأكديين والسومريين. فقد نشأ الجنس البابلي من تزاوج هاتين السلالتين ، وكانت الغلبة في السلالة الجديدة للأصل السامي الآكدي ، فقد إنتهت الحروب التي شبت بينهما بإنتصار آكد وتأسيس مدينة بابل لتكون حاضرة أرض الجزيرة السفلى بأجمعها. ومركزها هو مدينة بابل والتي مر عليها خلال فترات وجودها العديد من الشعوب والحكام. وكانت تقوم على الزراعة، وقد أسسها حامو رابي عام 1760 ق م، وأصدر قانونه شريعة حامورابي . وتطل علينا من بداية هذا التاريخ شخصية قوية هي شخصية حمورابي (2123- 2081 ق.م) الفاتح المشرع الذي دام حكمه ثلاثاً وأربعين سنة. وتصوره الأختام والنقوش البدائية بعض التصوير ، فنستطيع في ضوئها أن نتخيله شاباً يفيض حماسة وعبقرية، ذو عاصفة هوجاء في الحرب ، يقلم أظافر الفتن ويقطع أوصال الأعداء، ويسير في شعاب الجبال الوعرة ، ولا يخسر في حياته واقعة ؛ وحد الدويلات المتحاربة المنتشرة في الوادي الأدنى ، ونشر لواء السلام على ربوعها وأقام فيها منار الأمن والنظام بفضل كتاب قوانينه التاريخي العظيم. وقد كُشف قانون حمورابي في أنقاض مدينة السوس في عام 1902م. ووجد هنا القانون منقوشاً نقشاً جميلاً على إسطوانة من حجر ديوريت نقلت من بابل إلى عيلام (حوالي عام 1100 ق.م) فيما نقل من مغانم الحرب ، وقيل عن هذه الشرائع أنها منزلة من السماء. فترى الملك على أحد أوجه الأسطوانة يتلقى القوانين من شمش إله الشمس نفسه. وفي عام 1603 ق م، استولى ملك الحيثيين مارسيليس على بابل، كما استولى الآشوريين عليها عام 1245 ق م، ودخلها

الكلدانيون عام 621 ق م، ودمر الآشوريين مدينة بابل سنة 689 ق م. إلا أن البابليين قاموا بثورة ضد حكامهم الآشوريين عام 652 ق م. وقاموا بغزو آشور عام 612 ق م. واستولى نبوخذ نصر الثاني على أورشليم (القدس) عام 587 ق م. وسبى اليهود عام 586 ق م. وهزم الفينيقيين عام 585 ق م. وبنى حدائق بابل المعلقة. لكن كانت نهايتها على يد الفرس بعد أن استولى عليها الإمبراطور قورش سنة 538 ق م، وضمها لمملكته. ويمكننا إحصاء الأقوام التي ساهمت في بناء حضارة العراق القديم تاريخيا في : السومريون ، الأكاديون ، الكوتيون، البابليون،الكشيون ، الآشوريون، الآراميون ، الكلدانيون. وقد مرت هذه الدولة بمرحلتين، تشمل المرحلة التأسيس وكانت ابتداء من 1763 وأعظم ملوكها كان حامورابي، كما شهدت مرحلة ثانية ابتداء من 652 ق م، وكان أعظم ملوكها نبوخذ نصر.

حول اثبات وجود فلسفة بابلية : حول سؤال حول، هل إمكانية الحديث عن فلسفة بابلية (أو في حضارات ما بين النهرين) تأتي بعض الإجابات لتجيب بالإيجاب، ومن ذلك ما قاله الدكتور: الحسين المهداوي ومع ذلك، فان معرفتنا الحالية بالفكر البابلي على نواقصها مهمة، وتسمح لنا بذاتها ان نقول بأن هناك منظورات فلسفية بابلية حول نشأتي الكونين الميتافيريقي والملموس وحول مصيريهما. وهذه المنظورات لا تتضمن فقط مادة فلسفية مؤسسة على استنتاجات تأملية منظمة وتطرح نفسها منطقية كنسق وكمضمون، ومنسجمة اعظم الانسجام مع خصوصية اسئلتها ذاتها، انما تبدو تلك المضامين الفلسفية مستهدفة بذاتها من قبل مؤلفين صرنا، وهذه قضية مهمة جدا، نعرف اسماء عدد من المتأخرين منهم كأحيقار الحكيم (Ahiqar) بل بينهم من يكشف، مثل بيروس البابلي (Berosus)، وديوجين البابلي (Diogenes of Babylon) عن وشائج قديمة ومتينة بين الفلسفات البابلية والاغريقية تسمح بفرضية ولادة اللاحقة منهما في رحم الاولى برغم يقيننا بأن مشكلة الاصول الاولى للفلسفة هي المسألة الاقدم والاعقد في تاريخ الفلسفة كله بل قد تظل العصية الحل ابدا بين مسائله.

الفلسفة الكونية: كان لمنطقة سومر فصلان وأسبقيتان أولهما ظهور الكتابة لأول مرة في التاريخ، وثانيهما وجود ملايين الألواح والمدونات الطينية وهو ما أثبته الباحث "ويلز" كما كانت بابل في الألف الثانية قبل الميلاد تعج بالمثقفين. فالأدب البابلي غني بموضاعتهِ واشكالاتهِ الفكرية، ويتنوع ليشمل: أصل الكون والوجود والآلهة، والملاحم واعمال البطولة والأبطال، واساطير عالم ما بعد الموت، وأدب الحكمة، وموضوعات الخير والشر والعدل الإلهي، وأدب المفاخرة والمناظرة، ونصوص السخرية والفكاهة وقصص الحيوان، وأدب الرثاء، مع نصوص جميلة في الغزل والحب والصلوات والابتهالات والتراتيل والأدعية الدينية. ومصادر معرفتنا بالآداب البابلية، تأتي مما تَمَ اكتشافه من ألواح طينية، وفخارية مكتوبة بالخط المسماري واللغة البابلية ويتجاوز عددها عشرات الآلاف.. وتكمن اهميتها في الدلالات الإنسانية التي تَعبّر عنها، التي ما زالت حية وفاعلة في الاشكالات الفكرية للأدب المعاصر، وكذلك في الاسلوب الفني المميز في بنية الشعر والنثر، ويمكننا تلخيص موضوعات هذه الألواح في جملة من النقاط.

الملاحم: توضع أفكار البابليين في الخلق والتكوين بشكلها الأكمل في ملحمة التكوين البابلية المعروفة باسم (الانيوما ايليش) وتعتبر هذه الملحمة إلى جانب (ملحمة جلجامش) من أقدم وأجمل الملاحم في العالم القديم

فتاريخ كتابتها يعود إلى مطلع الألف الثاني ق.م أي قبل ألف وخمسمئة سنة تقريبا من كتابة الإلياذة وتدوين اسفار التورات العبرانية وقد لقيت كثيرا من الإهتمام والدراسة من قبل علماء المسماريات والانتروبولوجيا والميثولوجيا والثيولوجيا. وتضمنت هذه الملاحم أبرز المشكلات الفكرية الأساسية، والتي تدور حول الكون والحياة وأصل الوجود والأشياء، والخلق والإنسان، وقصة الحضارة، والمجتمع الإنساني ومشكلاته، وسلوك الفرد، وقيم المجتمع وقضية العدل الإلهي، ومسألة الخير والشر، وماهية الصراع في الوجود وحدوده.

العلم: لقد كان البابليون تجاراً ، ومن أجل هذا كان نجاحهم في العلم أيسر من نجاحهم في الفن. كانت علوم البابليين الرياضية تستند إلى تقسيم الدائرة إلى 360 درجة ، وتقسيم السنة إلى 360 يوم. وعلى هذا الأساس وضعوا نظاماً ستينياً للعد والحساب بالسنين. وهو النظام الذي نشأت منه فيما بعد النظم الإثنى عشرية. وكانوا لا يستخدمون في العد إلا ثلاثة أرقام - منها علامة للواحد تتكرر حتى تكون تسع علامات متماثلة للرقم 9 ، وعلامة ثانية للرقم 10 تتكرر حتى تصل إلى 50 ، وعلامة للرقم 100. كان الفلك هو العلم الذي إمتاز به البابليون. وهنا أيضاً كان السحر منشأ العلم ، فلم يدرس البابليون النجوم ليرسموا الخرائط التي تعين على مسير القوافل والسفن ، بل درسوها أكثر ما درسوها لتعينهم على التنبؤ بمستقبل الناس ومصائرهم ، وبذلك كانوا منجمين أكثر منهم فلكيين. وكان كل كوكب من الكواكب إلهاً تهمه شئون الناس ولا غنى عنه في تدبيرها. فكان المشتري مردك ، و عطارد نابو ، و المريخ نرجال ، و الشمس شمش ، و القمر سِنْ ، و زحل نبيب ، و الزهرة إشتار. وكانت كل حركة من حركات كل نجم أو كوكب تدل على أن حادثاً وقع على الأرض أو تتنبأ بوقوعه. فإذا كان القمر منخفضاً مثلاً، كان معنى ذلك أن أمة بعيدة ستخضع للملك ، وإذا كان هلالاً كان معناه أن الملك سيظفر بأعدائه. لقد إستطاعوا منذ عام 2000 ق.م أن يسجلوا بدقة شروق الزهرة وغروبها بالنسبة إلى الشمس ، وحددوا مواضع عدة نجوم ، وأخذوا يصورون السماء على مهل، وعينوا مسارات الكواكب، وكانوا أول من ميز النجوم الثوابت من الكواكب السيارة تمييزاً دقيقاً ، وحددوا تاريخ الإنقلابين الشتائي والصيفي ، وتاريخي الإعتدالين الربيعي والخريفي وقسموا دائرة فلك البروج (أي مسار الأرض حول الشمس) إلى الأبراج الاثنى عشر. وبعد أن قسموا الدائرة إلى 360 درجة عادوا فقسموا الدرجة إلى ستين دقيقة والدقيقة إلى ستين ثانية. وقسموا السنة إلى إثني عشر شهراً قمرياً، منها ستة في كل منها ثلاثون يوماً والستة الأخرى في كل منها تسعة وعشرون.

نشأة الكون: أساطير البابليين حول نشوء الكون والخلق، وصلتنا عن طريق الألواح السبعة لملحمة التكوين الشهيرة " الإينوما إيليش"، والتي تعود إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد. وكباقي الأساطير الأخرى التي يبدأ فيها الكون بالمياه الأزلية، كان بدء الكون في الأسطورة البابلية بالمحيط الأزلي الذي سكنه ثلاثة آلهة، "آبسو" إله الماء العذب، و"تيامات" إلهة الماء المالح، و"ممو" إله الضباب. عاشت الآلهة الثلاثة في حالة سكون مطلق، تعيش بجانب بعضها البعض، إلى أن دبت فيها الروح وبدأت في التناسل، لتتعاقب أجيال من الآلهة، حتى ظهر الإله "إنكي" إله الحكمة بطل الملحمة الأول.

تعددت الآلهة وانتهت حالة السكون الأولى، وتحول الصمت المطلق إلى حياة صاخبة مليئة بالحركة، الأمر الذي عكر صفو الآلهة القدامى خاصة الإله آبسو، الذي قرر إنهاء هذه الحالة العبثية والعودة إلى حالة السكون الأولى، وذلك بالتخلص من الآلهة الجديدة، وبدأ بتنفيذ خطته رغم رفض ومعارضة من تامات، التي لم تستطع التخلي عن أبنائها.

علمت الآلهة الجديدة بنوايا آبسو، فوكلت الإله إنكي لتخليصهم من مخططات آبسو، وقام بحمايتهم بتعاويذ سحرية لحمايتهم، تبعها بتعويذة أخرى أدخلت آبسو في سبات عميق وشلت حركته، وبينما هو نائم قام إنكي بنزع التاج الملكي عن رأس آبسو، ووضعه على رأسه إشارة لاستيلائه على مكانة آبسو بين الآلهة، ثم ذبحه. بعدها بسنوات أنجب الإله إنكي "مردوخ"، البطل الثاني الذي سيكمل مسيرة أبيه في الحكمة والقوة، في الوقت الذي عقدت فيه الإلهة "تيامات" النية على الانتقام لزوجها آبسو، الذي ذبح بعبث الآلهة الصغيرة، فضلاً عن ضجرها من الحياة الجديدة ورغبتها في العودة إلى حالة السكون الأولى، فأعلنت الحرب على الآلهة الصغيرة، وبدأت بتجهيز جيش من الشياطين والمسوخ والحيوانات المفترسة، وعينت زوجها الجديد الإله "كينغو" قائداً لجيشها، وعلقت على صدره ألواح القدر.

علمت الآلهة الجديدة بما تخطط له " تيامات"، فوكلوا مردوخ لمواجهتها، فاستعد مرودخ لها أفضل استعداد، وسخر الرياح والبرق لمواجهتها، وعندما التقى بها مردوخ طلب قتالاً منفرداً معها فوافقت، وبعد صراع مميت أرداها قتيلة، ثم أسر الإله "كينغو" قائد الجيش وسلبه ألواح القدر. بعد انتصار مردوخ على تيامات وجيشها، التفت إلى بناء الكون وتنظيمه، فقام بشق جثة "تيامات" إلى نصفين، جعل من النصف الأول سماء، وأحال النصف الثاني إلى أرض، ثم قام بخلق النجوم والشمس والقمر، وبعد أن أتم خلق الكون قام بخلق الإنسان من دماء الإله كينغو.

وهناك أسطورة أخرى تداولها السومريون، تؤكد بأن العالم كان فارغاً من كل شيء عدا المياه الأزلية، التي خرجت منها الإلهة "نموا" إلهة الماء، وأنجبت كلاً من "آن" رب السماء، و"كي" ربة الأرض كأول آلهة، وبعد زواجهما أنجبا "انليل"، رب الهواء الذي قام بدوره بفصل أبويه الأرض والسماء عن بعضهما. لم يستطع "إنليل" التأقلم مع الظلام فأنجب ابنه " نانا" ليصبح القمر، الذي أنجب الإله "أوتو" فيما بعد ليصبح الشمس، لينتهي الظلام إلى الأبد.

بمرور الوقت بدأت الآلهة تشعر بالضجر والتعب من القيام بكل المهام، وشعروا أنهم تحولوا فجأة إلى عبيد الأرض التي صنعوها وصار الحمل ثقيلاً لا يُطاق، كما هو مذكور في إنجيل سومر، فراحت ترفع شكواها للآلهة "نموا" الإلهة الأولى، فاقترح ابنها إنكي إله الحكمة أن يقوم بخلق كائنات جديدة تخفف عبء العمل على الآلهة، واقترح ان تخلق هذه الكائنات من الطين، وتهبها الآلهة قليلاً من حكمتها لتستطيع تنفيذ ما يوكل إليها من أعمال.

وافقت الآلهة " نمّوا" وكلفت "إنكي" بالقيام بخلق هذه الكائنات، الأمر الذي استفز الإلهة "ننماخ" كونها المسؤولة الأولى عن عملية الخلق، وفي حفلة إلهية ضخمة قرر تننماخ تحدي إنكي، رغبة في إظهار عدم قدرته

على الخلق، وقامت بصنع ستة أنواع من الإنسان، لكنهم كانوا مشوهين جميعاً، وليسوا بالصورة التي أرادها إنكي، فجاء دور إنكي فصنع ستة آخرين كانوا مرضى ومشوهين أيضاً، فانتهى الأمر بإشراك كل الآلهة في خلق الإنسان، ثم منحهم إنكي القليل من حكمته بما يتناسب مع قدراتهم المحدودة والضئيلة.

نظرية الفيض: ومن أفكارهم الميتافيزيقية أيضا نظرية الفيض التي سبقت تصورات أفلوطين، فالكون الذي يضم كل ما في الوجود من ظواهر وأفكار، يأخذ عندهم شكلا هرميا، أعلاه السماء بما فيها من كواكب وأفلاك ونجوم، ثم الهواء فالأرض، فالماء، وهو ما يعني أن حقيقة عملية الخلق تظهر على شكل ولادات، نتيجة تجاذب السالب والموجب منذ الأزل، ظهرت بعدها سلسلة الموجودات، كل منها سر قوتها من ذاتها، وبذلك تكون عملية الخلق انبثاقية، من مادة كانت تحكمها عناصر الفوضى والظلام.